

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الماعون

مكيّة ، وهي سبع آيات.

مكيّتها أو مدنيّتها :

هذه السورة مكية في قول الجمهور ، مدنية في قول ابن عباس وقتادة ، وقال هبة الله المفسر الضير : نزل نصفها بمكة في العاصي بن وائل ، ونصفها بالمدينة في عبد الله بن أبي المنافق.

تسميتها :

سميت سورة الماعون ، لأن الله تعالى ذم في نهايتها المدنية الذين يمنعون الماعون :
وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ [7] كالساهين عن الصلاة ، والمنافقين.

والماعون : ما يستعيره الجار من جاره من أدوات الطبخ ، كالقدر والملح والماء ، وآلات الحراثة والزرع ، كالفأس والدلو ، ووسائل الخياطة كالإبرة والخيط ونحو ذلك من كل ما يستعان وينتفع به من المنافع السريعة. وتسمى أيضا سورة الدّين للنعي في مطلعها المكّي على الذي يكذب بالدّين ، أي الجزاء الأخرى.

مناسبتها لما قبلها :

ترتبط السورة بما قبلها من وجوه ثلاثة :

1- ذم الله في السورة السابقة سورة قريش الجاحدين لنعمة الله

ج 30 ، ص : 420

الذين أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَذَمَّ فِي هَذِهِ السُّورَةِ مَنْ لَمْ يَحِضَّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ.

2- أمر الله في السورة المتقدمة بعبادته وحده وتوحيده: لِيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ

و ذم في هذه السورة الذين هم عن صلاتهم ساهون، وينهون عن الصلاة.

3- عدّد الله تعالى في السورة الأولى نعمه على قريش، وهم مع ذلك ينكرون البعث، ويجحدون الجزاء في الآخرة، وأتبعه هنا بتهديدهم وتخويفهم من عذابه لإنكار الدّين، أي الجزاء الأخروي.

ما اشتملت عليه السورة :

تحدثت هذه السورة المكية في مطلعها عن الكافر ، وفي نهايتها المدنية عن المنافق.

أما مطلعها فهو في ذمّ الكافر المكذب بيوم الحساب والجزاء : أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ وَوَصَفْتَهُ بِصَفَتَيْنِ : الأولى- انتهاره وزجره وطرده اليتيم ، والثانية- عدم الحض أو الحث على إطعام المسكين ، فلم يحسن في عبادة ربه ، ولم يفعل الخير لغيره.

وأما خاتمها فهي في ذم المنافق الذي أظهر الإسلام وأخفى الكفر ، ووصفته بصفات ثلاث : الأولى- الغفلة عن الصلاة ، والثانية- مراآته الناس بعمله ، والثالثة- منعه الماعون الذي يستعان ويتنفع به بين الجيران ، فهو لا يعمل لله ، بل يرآي في عمله وصلاته.

وتوعدت الفريقين بالخزي والعذاب والهلاك ، ولفقت الأنظار إليهم بأسلوب

الاستهجان والاستغراب والتعجيب من صنيعهم.

ج 30 ، ص : 421

الكافر المنكر الجزاء الأخروي والمنافق المرآي بعمله وعقاب كل منهما [سورة الماعون (

107) : الآيات 1 الى 7]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (2) وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ

المُسْكِينِ (3) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (4)
الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (5) الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ (6) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (7)
الإعراب :

أَرَأَيْتَ بالهمزة على الأصل ، وهو في الأظهر عند ابن الأنباري من رؤية العين ، لا من رؤية القلب ، فيتعدى إلى مفعول واحد ، وليس في الآية إلا مفعول واحد. وقرئ رأيت بتخفيف الهمزة ، يجعلها بين الهمزة والألف لأن حركتها الفتح. وقرئ رأيت بحذف الهمزة الأولى للتخفيف ، كما حذف في المضارع ، نحو « يرى » . وقال أبو حيان : الظاهر أن أَرَأَيْتَ هنا هي التي بمعنى أخبرني ، فتتعدى لاثنين ، أحدهما الَّذِي والآخر محذوف تقديره : أليس مستحقا عذاب الله ؟ أو : من هو ؟ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ فَوَيْلٌ مبتدأ : وَلِلْمُصَلِّينَ خبره. وَالَّذِينَ صفة الخبر ، وَهُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ صلته. ولم تحصل الفائدة بالخبر ، بل بما وقع صلة الصفة ، وهو قوله سَاهُونَ وهذا يسمى الخبر الموطئ : وهو أن معتمد الفائدة إنما كان بصفة الخبر ، لا بالخبر. مثل قوله تعالى : بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ ، بَجْهَلُونَ [النمل 27/ 55] فَإِنْ قَوْلُهُ : أَنْتُمْ مَبْتَدَأٌ ، وَقَوْمٌ خَبْرُهُ ، وَمَعْتَمِدُ الْفَائِدَةِ عَلَى صِفَةِ الْخَبَرِ ، لَا عَلَيْهِ ، لِأَنَّ قَوْلَهُ :

بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ لم تحصل به الفائدة ، للعلم بأنهم قوم ، وإنما حصلت الفائدة بقوله : بَجْهَلُونَ.

البلاغة :

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ استفهام يراد به تشويق السامع إلى الخبر والتعجب منه.

فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ إِجْازًا بِالْحَذْفِ ، حَذَفَ مِنْهُ الشَّرْطُ ، أَيِ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَهُ
فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ.

ج 30 ، ص : 422

فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ذَمٌّ وَتَوْبِيخٌ ، وَوَضْعُ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ ، وَالْأَصْلُ فَوَيْلٌ لَهُمْ زِيَادَةٌ فِي
التَّقْبِيحِ لِأَنَّهُمْ مَعَ التَّكْذِيبِ سَاهُونَ عَنِ الصَّلَاةِ.

وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ جِنَاسٌ نَاقِصٌ.

سَاهُونَ يُرَاؤْنَ الْمَاعُونَ : تَوَافَقَ الْفَوَاصِلُ مِرَاعَاةً لِرُؤُوسِ الْآيَاتِ ، وَكَذَلِكَ بِالَّذِينَ

الْمِسْكِينِ لِلْمُصَلِّينَ.

المفردات اللغوية :

أَرَأَيْتَ أَيِ هَلْ عَرَفْتَ وَعَلِمْتَ ؟ وَهُوَ اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ التَّعَجُّبُ وَتَشْوِيقٌ السَّامِعَ إِلَى
مَعْرِفَةِ مَا يَذْكَرُ بَعْدَهُ. بِالَّذِينَ بِالْجَرَاءِ وَالْحِسَابِ. وَالْمَعْنَى الْعَامُّ لِلذِّينِ : هُوَ النِّزَامُ الْإِلَهِيُّ
لِلْحَيَاةِ الْمَشْتَمَلِ عَلَى الْخُضُوعِ لِمَا وَرَاءَ الْمَحْسُوسِ بِآثَارِ الْكُونِ الدَّالَّةِ عَلَى وَجُودِ اللَّهِ
وَوَحْدَانِيَّتِهِ ، وَبَعَثَةُ الرِّسْلِ ، وَالتَّصَدِيقُ بِعَالَمِ الْآخِرَةِ. يَدْعُ الْيَتِيمَ أَيِ يَدْفَعُهُ بَعْنَفٍ عَنِ
حَقِّهِ ، وَيَزْجِرُهُ زَجْرًا عَنِيفًا ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : يَوْمَ يُدْعُونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً [الطور
13 / 52].

وَلَا يَخْضُ لَا يَحِثُّ نَفْسَهُ وَأَهْلَهُ وَغَيْرَهُمْ مِنَ النَّاسِ. عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ إِطْعَامٌ.

فَوَيْلٌ خَرِيٌّ وَعَذَابٌ وَهَلَاكٌ. سَاهُونَ غَافِلُونَ عَنِ الصَّلَاةِ ، يُوْخِرُونَهَا عَنْ وَقْتِهَا.

يُرَاؤْنَ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا ، يَرُونَ النَّاسَ أَعْمَالَهُمْ لِيُرَوْهُمْ الثَّنَاءَ عَلَيْهَا ، وَالرِّيَاءَ : الْمَصَانَعَةَ

وَفَعَلَ الشَّيْءَ لِغَيْرِ وَجْهِ اللَّهِ، لِإِضَاءِ لِلنَّاسِ. وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ كُلِّ مَا يَسْتَعَانُ وَيَنْتَفِعُ بِهِ

كالإبرة والفأس والقصعة.

سبب النزول :

نزول الآية (1) :

أَرَأَيْتَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : نَزَلَتْ فِي الْعَاصِ بْنِ وَائِلِ السَّهْمِيِّ وَقَالَ السُّدِّيُّ : نَزَلَتْ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ . وَقِيلَ : فِي أَبِي جَهْلٍ ، كَانَ وَصِيًّا لِتَيْمٍ ، فَجَاءَهُ عَرِيَانًا يَسْأَلُهُ مِنْ مَالِ نَفْسِهِ ، فَدَفَعَهُ . وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ : نَزَلَتْ فِي أَبِي سَفْيَانَ ، وَكَانَ يَنْحَرُ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ جَزُورًا ، فَطَلَبَ مِنْهُ يَتِيمٌ شَيْئًا ، فَفَرَعَهُ بَعْصَاهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ السُّورَةَ .

ج 30 ، ص : 423

نزول الآية (4) :

فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ : أَخْرَجَ ابْنُ الْمُنْذِرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ : فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ قَالَ : نَزَلَتْ فِي الْمُنَافِقِينَ كَانُوا يَرَاءُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِصَلَاتِهِمْ إِذَا حَضَرُوا ، وَيَتْرَكُونَهَا إِذَا غَابُوا ، وَيَمْنَعُونَهُمُ الْعَارِيَّةَ ، أَيِ الشَّيْءِ الْمُسْتَعَارِ .

التفسير والبيان :

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالَّذِينَ أَيُّ أَبْصَرْتَ يَا مُحَمَّدُ الَّذِي يَكْذِبُ بِالْحِسَابِ وَالْجِرَاءِ ؟ أَوْ بِالْمَعَادِ وَالْجِرَاءِ وَالثَوَابِ . وَقَوْلُهُ : أَرَأَيْتَ وَإِنْ كَانَ فِي صُورَةٍ اسْتِفْهَامٍ ، لَكِنَّ الْغَرَضَ بِمِثْلِهِ الْمُبَالَغَةُ فِي التَّعْجِبِ . وَهَذَا مِثَالٌ آخَرَ لِكُونَ الْإِنْسَانِ فِي خَسْرٍ .

فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ، وَلَا يُحْضِرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ أَيُّ هُوَ الَّذِي يَدْفَعُ الْيَتِيمَ عَنْ حَقِّهِ دَفْعًا شَدِيدًا ، وَيُزَجِرُهُ زَجْرًا عَنيفًا ، وَيُظْلِمُهُ حَقَّهُ وَلَا يُحْسِنُ إِلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَ عَرَبُ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يُورَثُونَ النِّسَاءَ وَالصَّبِيَّانَ .

ولا يحث نفسه ولا أهله ولا غيرهم على إطعام المسكين المحتاج ، بخلا بالمال ، كما قال تعالى : كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ، وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ [الفجر 89/17-18] أي الفقير الذي لا يملك شيئاً ، أو لا يجد كفايته.

فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ

أي فخري وعذاب للمنافقين الذي يؤدون الصلاة أحياناً تظاهراً ، والذين هم غافلون عنها ، غير مباليين بها ، لا يرجون بصلاتهم ثواباً إن صلوا ، ولا يخافون عليها عقاباً إن تركوا ، فهم عنها غافلون حتى يذهب وقتها ، وإذا كانوا مع المؤمنين صلوا رياءً ، وإذا لم يكونوا معهم لم يصلوا.

ولم يقل : في صلاتهم ساهون لأن السهو في أثناء الصلاة مغتفر معفو عنه لأنه غير اختيلري ، وإنما قال : عن صلاتهم ساهون بتأخيرها عن وقتها رأساً ، أو فعلها مع قلة مبالاة بها ، كقوله : وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالِي ،

ج 30 ، ص : 424

يُرَاؤْنَ النَّاسَ

[النساء 4 / 142]. ويجوز أن يطلق لفظ « المصلين » على تاركي الصلاة ، بناء على أنهم من جملة المكلفين بالصلاة.

الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤْنَ أَي إِنْ أَوْلَيْتُكَ السَّاهِينَ عَنْ صَلَاتِهِمْ هُمُ الَّذِينَ يَرَاءُونَ النَّاسَ بِصَلَاتِهِمْ إِنْ صَلَّوْا ، أَوْ يَرَاءُونَ النَّاسَ بِكُلِّ مَا عَمَلُوا مِنْ أَعْمَالِ الْبِرِّ ، لِيَتَنَوَّعُوا عَلَيْهِمْ . قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ : الْمَرَاءَةُ : هِيَ مَفَاعَلَةٌ مِنَ الْإِرَاءَةِ لِأَنَّ الْمَرَائِيَّ يَرِي النَّاسَ عَمَلَهُ ، وَهُمْ يَرُونَهُ الشَّنَاءَ عَلَيْهِ ، وَالْإِعْجَابَ بِهِ .

روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو يقول : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« من سَمِعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ ، سَمِعَ اللهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ ، وَحَقَّرَهُ ، وَصَغَّرَهُ » .
وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ أَي يَمْنَعُونَ الْعَارِيَةَ وَفَعَلَ الْخَيْرَ ، وَالْمَاعُونَ اسْمٌ لِكُلِّ مَا يَتَعَاوَرُهُ النَّاسُ
بَيْنَهُمْ ، مِنَ الدَّلْوِ وَالْفَأْسِ وَالْقَدْوَمِ وَالْقَدْرِ وَمَتَاعِ الْبَيْتِ ، وَمَا لَا يَمْنَعُ عَادَةً ، كَالْمَاءِ
وَالْمَلْحِ ، مِمَّا يَنْسَبُ مَانِعَةٌ إِلَى الْخِسَّةِ وَلَوْمِ الطَّبَعِ وَسُوءِ الْخَلْقِ .
فهؤلاء المنافقون لا أحسنوا عبادة ربهم ، ولا أحسنوا إلى خلقه ، حتى ولا بإعارة ما
ينتفع به ويستعان به ، مع بقاء عينه ، ورجوعه إليهم ، وهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع
القربات أولى وأولى .

روى النسائي وغيره عن عبد الله بن مسعود قال : كل معروف صدقة ، وكنا نعد
الماعون على عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عارية الدلو والقدر .
فقه الحياة أو الأحكام :

يستنبط من الآيات ما يأتي :

1- ذم المكذب بالجزاء والحساب في الآخرة ، واللفظ عام لا يقتصر على من كان
سبب نزول الآية .

ج 30 ، ص : 425

2- من صفات المكذب بالجزاء الأخروي وقبائحه : زجر اليتيم وطرده ودفعه عن حقه
وظلمه وقهره ، وترك الخير وعدم الحث أو عدم الأمر على إطعام الفقير والمسكين ،
من أجل بخله وتكذيبه بالجزاء . وليس الذم عاما ، حتى يتناول من تركه عجرا ، ولكنهم
كانوا ييخلون مع الغنى ، ويعتذرون لأنفسهم .

3- الويل ، أي العذاب والتهديد العظيم لمن فعل ثلاثة أمور : أحدها- السهو عن
الصلاة ، وثانيها- فعل المراءاة ، وثالثها- منع الماعون .

و قد جمع المنافقون الأوصاف الثلاثة: ترك الصلاة، والرياء، والبخل بالمال.
والسهو عن الصلاة: تركها رأساً، أو فعلها مع قلة المبالاة بها كما تقدم.
أما السهو في الصلاة فهو أمر غير اختياري ، فلا يدخل تحت التكليف. و
قد ثبت أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سها في الصلاة، وشرع سجود السهو لمن سها.
وكذلك سها الصحابة.

وحقيقة الرياء: طلب ما في الدنيا بالعبادة ، وطلب المترلة في قلوب الناس ، وللرياء
أنواع ، وأولها : تحسين السمّت (الهيئة) مع إرادة الجاه وثناء الناس. وثانيها : لبس
الثياب القصار أو الخشنّة ، ليأخذ بذلك هيئة الزهد في الدنيا. وثالثها : الرياء بالقول
بإظهار السخط على أهل الدنيا ، وإظهار الوعظ والتأسف على ما يفوته من فعل
الخير والطاعة.

ورابعها : إظهار الصلاة والصدقة ، أو تحسين الصلاة لأجل رؤية الناس له « 1 » .

(1) أحكام القرآن لابن العربي : 4 / 1972 ، تفسير القرطبي : 20 / 212 - 213
ج 30 ، ص : 426

و الفرق بين المنافق والمرائي : أن المنافق هو المظهر للإيمان المبطن للكفر ، والمرائي :
المظهر ما ليس في قلبه من زيادة خشوع ليعتقد فيه من يراه أنه متدين « 1 » .
وقال العلماء : لا بأس بالإراءة إذا كان الغرض الاقتداء ، أو نفي التهمة.
واجتناب الرياء صعب إلا على من راض نفسه ، وحملها على الإخلاص. ومن هنا
قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الرياء أخفى من ديبب النملة السوداء ، في

الليلة المظلمة ، على المسح الأسود « 2 »
أي البلاس المصنوع من الشعر.

و الماعون عند أكثر المفسرين : اسم جامع لما لا يمنع في العادة ، ويسأله الفقير والغني في أغلب الأحوال ، ولا ينسب سائله إلى لؤم ، بل ينسب مانعة إلى اللؤم والبخل ، كالفأس والقدر والدلو والمقدحة والغربال والقدم ، ويدخل فيه الماء والملح والنار ، لما روى ابن ماجه عن أبي هريرة : « ثلاثة لا يمنعن : الماء والنار والملح » . ومن ذلك أن يلتمس جرك الخبز من تنورك ، أو أن يضع متاعه عندك يوماً أو نصف يوم « 3 » .
وقيل : منع الماعون : منع زكاة أموالهم.

وبالرغم من أن هذه الأوصاف واضحة في المنافقين ، فإن بعضها قد يوجد في المسلم الصادق الإسلام ، وحينئذ يلحقه جزء من التوبيخ ، كالصلاة إذا تركها ، ومنع الماعون إذا تعين ، ويكون منعاً قبيحاً مخلاً بالمروءة في غير حال الضرورة.

4- في الآيتين حول السهو عن الصلاة ومنع الماعون إشارة إلى أن الصلاة لله عز وجل ، والماعون للخلق أو للناس ، فمن ترك الصلاة لم يراع جانب تعظيم أمر الله ، ومن منع الماعون لم يراع جانب الشفقة على خلق الله ، وهذا كمال الشقاوة ، نعوذ بالله منها.

(1) تفسير الرازي: 115 / 32

(2) تفسير الكشاف: 362 / 3

(3) غرائب القرآن: 191 / 30

ج 30 ، ص: 427

و الخلاصة: وصف الله الكفار والمنافقين في هذه السورة بأربع صفات:
البخل، وترك الصلاة، والرياء فيها، ومنع الزكاة والخير.

ج 30 ، ص : 428